

## حسن العلوي

### هيكل صدام وعاشق عمر

- حسن نوري سلمان خلف العلوي.
- ولد في بغداد ضاحية الكرادة عام ١٩٣٦م.
- درس في ثانوية الكرخ، وأتمّ السنة الأخيرة في الثانوية الشرقية في بغداد.
- أنهى دراسته في كلية الآداب - جامعة بغداد عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.
- نشر أول مقال له في الصحف عام ١٩٥٤، وله كتابات قومية منذ عام ١٩٥٦.
- عمل في التنظيمات الأولى لحزب البعث منذ منتصف الخمسينيات، وخرج من الحزب، ولم يعمل في تنظيم أو تجمّع آخر.
- تحظى كتبه بدائرة انتشار واسعة، وكان العراقيون يستسخون سرّاً أي كتاب له، فيما كان العثور على نسخة من كتبه سيقود صاحب المكتبة والقارئ إلى سجن طويل.

من كتبه السائرة:

- عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين.
- الجواهري ديوان العصر.
- التأثيرات التركية في المشروع القومي.
- الشيعة والدولة القومية.
- دولة المنظمة السرية.
- أسوار الطين في عقدة الكويت.
- العراق الأميركي.
- عمر والتشيع.



## العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل!

أكد المفكر الشيعي الشهير حسن العلوي أن المرحلة التي يعيشها العراق حالياً ستفضي إلى «الصوملة»، ويعقبها تفكيك الكتل المتجانسة، الذي بدأ باختلاف السنة مع السنة، والشيعية مع الشيعية، والأكراد مع الأكراد.

وشدّد العلوي، الذي صنّف سابقاً على أنه «هيكل صدام»، في حوار مع «الحياة»، على أن إيران حالت دون اقتتال الشيعية فيما بينهم، أما السنة فإنهم بدؤوا يتقاتلون، ويُتوقع المزيد.

وأبدى أسفه لتقديم الدول العربية شيعة العراق هدية إلى إيران، على الرغم من أن عددهم يماثل عدد خمس دول أعضاء في الجامعة العربية. أما البقية من الشيعة العرب الذين استعضوا على المغازلة الإيرانية، فقال: إن تأثيرها «تحت الصفر».

لكن العلوي اعتبر كتابه «عمر والتشيّع» الذي صدر حديثاً، يمثل مشروعه السياسي لمحاولة إطفاء النيران المشتعلة في العراق، وبعث الشيعة العرب؛ ليجمعهم خطاب مستقل.

وامتدح شطارة إيران، وقال: إنها مكّنت لنفسها في العراق وليست أميركا التي مكّنت لها كما يتردد. وعاتب العرب السنة في تأخرهم عن القيام بدور مماثل، وإن تفهّم أن «فاقد الشيء لا يعطيه». وفيما يأتي نص الحوار معه:

تنبأت بأن العراق الأميركي قادم، وأن له رجالاً  
محددتين، فصاروا كما توقعت، سؤالي: ماذا بقي  
حتى الآن مما توقعت حدوثه ولا تزال تجزم  
بقدمه؟

- بقيت (الصوملة)، وأعني بها أن يصبح العراق كالصومال، العراق الآن مثل كرة تتدحرج من جبل، ومن الصعوبة إيقاف الانهيار؛ لأنه لا توجد مصدات، كطوفان يجري من دون سدود ولا حواجز، فدائماً أنا أتوقع الأسوأ، نحن الآن في المرحلة الرابعة.

| وهل هناك مرحلة خامسة تعقبها أيضاً؟

- تعقبها مرحلة تفكيك الكتل المتجانسة بعد حل الدولة وحل السلطة، ولو اكتفى الأميركيون بحل السلطة واستبدال سلطة عراقية عادلة بها لكان من الممكن أن يستقيم الأمر؛ لأن هناك عدم ارتياح من سلوك النظام العراقي السابق من جانب الجوار الإقليمي، بسبب تورطه في إشكالات كثيرة مع العرب والمسلمين على حد سواء، فحل السلطة لم يكن يحزن العرب أبداً، ولكن الذي فاجأ الناس هو حل الدولة، الذي حدث بالتزامن مع حل الشعب، أي تفكيك الشعب،

فكّكوا السلطة، وفكّكوا معها وحدة البلاد الوطنية، وساعدهم على ذلك أن الشعب نفسه غير متجانس، فالعراق يعاني من عدم التجانس الاجتماعي، فهو شعب تعددي، وهذا ليس خطراً في أصله، حتى إن شاعراً عراقياً شبه العراق بالبستان، فيه مجموعة من الألوان والزهور ذات ألوان وروائح حلوة، لكن تحوّل هذه الألوان إلى رماح وإلى صواريخ يُحلّ الخطر، وهذا ما حدث.

| وبأي شيء ينتهي نفق مرحلة الصوملة؟

- تنتهي إلى لا شيء. إلى (اللا دولة)، فنحن الآن في مدة ما بعد الفيديرالية أو ما تحتها، على غرار قول أدباء ما بعد الحداثة، فحتى الفيديرالية قد تُشكّل فيها كتل متجانسة كردية، وشيعية، وسنية، هذه الآن غير موجودة ما عدا الكتلة الكردية التي لا تزال متجانسة، وإن كنت أتوقع صداماً في المستقبل لأي سبب، فالكتلة السنية الآن في حال صدام في الأنبار.

| كأنك تقول: إن النتيجة النهائية للعراق أن «لا

حل»؟

- نعم لا حل للعراق؛ لأن عناصر الحل غير قائمة، كما أن إرادته أيضاً غير متوافرة، والتصالح الذي تسمع عنه مجرد استهلاك وكسب للوقت، إذ ليس ناتجاً من نية صادقة.

| ولكن هل صوملة العراق شيء مخطط له

| أميركياً، أم حدث نتيجة لفشل غير متوقع؟

- في بعض الأحيان ليس شرطاً أن يكون الناتج من جنس المقدمة، فنحن كما سقطنا في فخ المؤامرة سقطنا في فخ آخر، وهو أنه لا مؤامرة، أنا أعتقد أن الواقع شيء بين الاثنين، إذا ما نزلنا قليلاً عن مصطلح المؤامرة ونفي المؤامرة، فسنعجد شيئاً آخر اسمه خطط الدول. هل يعقل أن دولة مثل أميركا لا يوجد لديها برنامج عمل. الشركة الصغيرة تضع لها برنامجاً مرحلياً أو أكثر من مرحلي، فأمركا لها برنامج محدد، ومخطط خاص، أنت قد تسميه مؤامرة، لكني قد لا أسميه مؤامرة، هو خطط الدولة.

أفهم من ذلك أن أميركا خطت لأن يكون  
العراق صومالاً، مثلاً؟

- أنا لا أقول بهذا، ولكن قلت لك: إن الناتج قد لا يكون من طبيعة المقدمة، كيف أن بلداً تحتل بلداً وتخضعه لسيطرتها، ثم تطالب دولة أخرى بتقديم حل، إما لتأييد الاحتلال أو نفيه، فاستدعاء إيران من خلال خطاب بوش أخيراً، بأن تكف إيران أو سورية عن كذا، معناه أن الاحتلال غير قادر على إدارة البلد.

ولكن ثمة دولا ترى أن أميركا هي التي مكنت  
لإيران في العراق؟

- لم يحدث ذلك بالطريقة المباشرة التي يتحدث عنها بعضهم لا توجد دولة تحتل بلداً وتمكّن دولة أخرى منافسة فيه، فالأميركيون يعرفون أن إيران التي ستدخل العراق هي المسلحة لا العزلاء، وهو

ما يتناقض مع مبدأ أميركا في بداية احتلال العراق، فهم لا يريدون إلاقوة واحدة، ولذلك سرحوا الجيش والأمن العراقيين، ورفضوا إقامة شرطة عراقية وأمن عراقي لمدة طويلة، على اعتبار أن أي سلاح سيصطدم مع سلاحهم، وحتى هذه اللحظة هم يخشون أن يسلموا قوات الداخلية العراقية والجيش العراقي بجديفة.

### | على هذا إيران مكنت لنفسها؟

- نعم، إيران شاطرة، ونحن نخشى أن نواجه طاقاتها بعجزنا وفشلنا كعرب في كل مرة، بالضبط كخطابنا إزاء إسرائيل بأن الصهاينة عملوا كذا وكذا، ونتجه إلى تحميلهم أي شيء يستفز العرب، نحن الآن نحمل إيران الشيء نفسه، لماذا لا نقوم نحن بالعمل الذي تقوم به إيران، أو الذي تقوم به إسرائيل، من الذي منع العرب؟

### | برأيك، هل العراقيون الذين باتوا الضحية، وقعوا في فخ الاحتلال، وربما إيران أيضاً؟

- لا، الوضع في العراق نتيجة لتراكمات طويلة، نتيجة لأخطاء في بناء السلطة العراقية الأولى التي أقامها الملك فيصل الأول على مبدأ قومية السلطة في بلد متعدد، فكان من المفترض أن تقام وطنية السلطة على الفرار المصري لا على قومية السلطة؛ لأنه في وطنية السلطة يلتقي السني والشيعي والتركماني والكردي والعربي، أما قومية السلطة فهي مشروع انقسامي، والملك فيصل انتبه إلى أخطائه فحاول تصحيحها، وقام بتوزيع مذكرة ضد قومية السلطة،

ومرت ستة أشهر من توزيع هذه المذكرة في تداول محدود ثم رحل، وهناك عوامل أخرى أدت إلى ظهور العراق بالصورة الحالية، أبرزها المكبوت الطائفي الذي انفجر، بعضهم يتصرف كمن يرى أن الوقت حان لتصفية الحساب مع الآخرين بعد ١٤٠٠ سنة!



## دم الصدام في رقبة هؤلاء!

إذن هل أصبحت العملية أخذ كل طائفة بتأرها  
من الأخرى؟

- نعم، وهذا الذي حدث في محاكمة صدام، بدت ثاراً من السنّة  
وليس محاكمة، هذا ما قلته بعد تنفيذ الإعدام بأربع ساعات،  
إذ قلت: إن صداماً السنّي هو الذي أعدم وليس صدام الديكتاتور  
الذي لم يحاكم أصلاً، والذي أوحى بهذا الشعور هو عملية الإعدام،  
هذا المشهد لم يكن اختراع الذهن العربي أو الذهن السنّي، وإنما  
المشهد هو الذي أوحى بهذا الانطباع.

وفي تقديرك، من الذي اختار التوقيت الذي  
استفز كثيرين؟

- الأميركيون وشيعة السلطة، حتى أبرئ شيعة الشعب.

وما موقف الشيعة المعتدلين من المشهد؟

- أين هم الشيعة المعتدلون؟ إذا كان الخطاب العربي يعد الشيعة  
العرب عجماً ويخاطبهم كصفويين! الخطاب العربي يقدم كذا

مليون عربي شيعي هدية لإيران باعتبارهم عجماً، ما موقع هؤلاء المعتدلين إذا كانوا بين أضرار وأنياب التكفير والتعجيم من جانب، وسيطرة الإسلاميين ذوي النزعة الإيرانية على القرار السياسي من جانب آخر.

وهل نتيجة لذلك لم يعد للشيعية العرب تأثير  
في التركيبة العراقية؟

- الآن درجة تأثيرهم تحت الصفر.

وكيف يُبعثون؟

- يُبعثون بخطاب عربي وليس بخطاب طائفي، ولا بخطاب يطعن في عروبة القبائل العربية التي جاءت امتداداً لنجد في بادية السماوة والفرات الأوسط، هذه القبائل هي التي حافظت على عروبة العراق لكي لا يستعجم، هؤلاء لا ينبغي الحديث عنهم كصفويين أو عجم. هذه اللغة ناتجها أننا نقدم هذه العشائر العربية هدية لإيران.

وإيران هل ستقبل تلك الهدية؟

- بالتأكيد، وهؤلاء العرب الشيعة مجموعهم يساوي خمس دول عربية أعضاء في الجامعة العربية، فأنت تقدم لإيران خمس دول عربية حين تتنازل عن الشيعة العرب، فإنك عندئذ تتنازل عن العروبة في العراق عموماً!

وما دورك أنت في تغيير هذه النظرة وأنت الآن

في العاصمة السعودية (الرياض)؟

- أسعى لتغيير هذا الخطاب، أسعى لمصالحة تبدأ من التاريخ. كتابي «عمر والتشيع» هو مشروع.



## مشروع مقاومة (العجم)!

هذا المشروع ثقافي، والعراق يحتاج إلى مشروع سياسي؟

- بل مشروع سياسي يبدأ بالتصالح مع التاريخ، هذا نداء إلى الشيعة العرب أن انفصلوا عن الخطاب الإيراني، مثلما ينادى السنة العرب بأن انفصلوا عن خطاب التعجيم، لأن هناك شيعة عرباً متورطين في الخطاب الإيراني، ويهاجمون عمر ويشتمون الصحابة، في الوقت الذي يمثل الشيعة فيه فقط ١٠ في المئة، فهم جزيرة في محيط إسلامي سني، وبالتالي لا توجد لهم فرص طيبة، فالفرص الطيبة تأتي من التجانس والمشاركة وليس من القطيعة، ولهذا عنوان الكتاب «القطيعة والمشاركة»، لأن الناس الذين يدعون إلى القطيعة هم الذين يهاجمون الصحابة ويهاجمون عمر ويدعون حب علي، ويعتقدون أن علياً لم يتشارك مع الصحابة وإنما قاطعهم، ولهذا أنا أسعى إلى تشكيل تيار أسميه «تيار المتعربين الشيعة»، والمتعرب هو وصف أتى في كتاب الجاحظ، حين قال: كان عمر متعرباً. والمتعرب ليس الذي أصبح عربياً وإنما العربي الذي يدافع

عن مصالح العرب، وشرف العرب، فأنا أفضل كلمة المتعرب على العربي، أنا من أتباع عمر بن الخطاب فكراً ووجداناً.

أنت تدعو إلى تجمع عربي أكثر من كونه طائفيًا،  
والذي نراه الآن أن صوت الطائفية تتهاوى أمامه  
كل الأصوات الأخرى؟

- العامل الطائفي هو أقوى العوامل في العراق، ولهذا كان العراق البريطاني سنيًا والعراق الأميركي شيعيًا، ووضعت كتاباً في هذا الموضوع اسمه «العراق الأميركي».

إذن، هل يمكن لمشروعك النجاح في ظل هذا  
الهيجان الطائفي واستمساك رجال الدين  
الطائفيين من السنة والشيعة بزمام الأمور؟

- هذه لغة تجارية، أما أصحاب المشاريع الفكرية كهذه، فحسبهم أن ينشروا الأفكار مثلما ينشر الأوكسجين ويتنفسه الناس، ولا يفكرون في الربح والخسارة، أنا شخصياً خسرتان مئة في المئة، أخسر عندما أترك سفارتي ودولتي وامتيازات دولتي، سأخسر كثيراً من الجمهور العراقي الذي سيسيء فهم كتابي هذا «عمر والتشيع»، ولا يدرك أنه مثل كتابي الآخر «الشيعة والدولة القومية»، في ذلك أتكلم عن حقوق مدنية، وفي هذا أتكلم عن حقوق مدنية، في ذلك الكتاب كان الشيعة مذهباً مقموراً فدافعت عنه، وفي هذا الكتاب أصبحت السنة هي المذهب المقموع، فدافعت عنه.

ألا ترى أن العراق الآن في حاجة إلى مبادرات  
إطفاء سياسية، وليس إلى مشاريع فكرية لا  
يظهر نتائجها إلا بعد وقت؟

- لا، هو مشروع سياسي، وقلت: إنه محاولة لإطفاء النيران، فهو  
طفّاية حريق.

أنت ذكرت في إحدى أطروحاتك الفكرية أن  
عيد الاستقلال ربما يثير جدلاً بين العراقيين،  
واقترحت أكثر من مقترح، فما الذي تراه الآن  
بعد إعدام صدام؟ هل سيأتي من يقول: إن يوم  
إعدام صدام سيكون...؟

- (غاضباً)، لا تتسطّح إلى هذه الدرجة. هذا أمر مستبعد تماماً.

سؤالنا عن عيد الاستقلال، أي يوم تراه مناسباً  
ليكون عيد الاستقلال؟ أو الأصلح ليوافق بين  
العراقيين؟

- بالنسبة إلى الملكيين كانوا يعدون يوم ٢٣ آب (أغسطس) من كل عام  
عيداً للاستقلال؛ لأنه اليوم الذي تأسس فيه العراق الملكي عام...،  
ومنهم من اعتبر يوم ١٤ تموز (يوليو) يوماً وطنياً للجمهورية، ومنهم  
من يعد يوم سقوط صدام حسين عيداً، ولا أحد يحتفل بيوم  
الاحتلال عيداً له! أنا اقترحت وكتبت رسائل لزعماء العراق؛ لكي  
لا يتأخروا في الإعلان عن اليوم الوطني، واكتشفت في دراستي

لتاريخ العراق أن هناك يوماً سيلقى القبول لدى جميع العراقيين، وهو يوم إعلانه عضواً مستقلاً في عصابة الأمم المتحدة في جنيف، في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢.

وهل تعتقد أن هذا اليوم سيرضي الجميع؟

- نعم نعم، لأنه يوم استقلال، ولم يكن لا ملكياً ولا جمهورياً، بل العراق الذي أصبح دولة مستقلة في العالم.

في حوار لك ذكرت أن لك مؤلفاً، سميته «الفتوحات السفيانية»، وأشارت إلى أن هذا الكتاب لن ينشر إلا بعد مماتك، ما فكرة الكتاب حتى تراه بهذه الخطورة؟

- «الفتوحات السفيانية» كتاب قررت ألا أنشره في حياتي، وبالتالي أيضاً لا أستطيع الحديث عنه، ولكن ما أقوله لك: إن كتاب «عمر والتشيع» كان من نتائج «الفتوحات السفيانية»، كان فصلاً صغيراً فيه اشتغلت عليه إلى أن أصبح كتاباً.

ذكرت في إجابة سابقة أن الطائفية تتناقض مع الاجتماع على العروبة، ولكن في لبنان تكونت الدولة على أساس طائفي، وهي المثل العربي الأعلى في غناها الثقافي؟

- لبنان ليست دولة طائفية، وإنما الدولة الطائفية هي التي فيها طوائف عدة، وتوزع فيها الامتيازات بطريقة منحازة غير عادلة،

كأن تكون شيعية وتحرم السني، أو مسلمة وتحرم المسيحي... ولهذا؛ فالإسلام لم يكن طائفياً؛ لأنه أعطى حقوق الكل كاملة. العراق مثلاً كان طائفياً لأن القرار سني، وأصبح الحكم فيه الآن طائفيًا كذلك، لأن القرار شيعي بالطريقة نفسها، لم يتغير شيء سوى أن استبدلوا بطائفية معينة طائفية أخرى، والفارق بين الطائفتين في حكم العراق أن الحكم في العراق في المرحلة السنية لم يكن ثقیلاً على الناس، لأن الحاكم لم يكن يلبس العمامة السنية، أي أن الطائفة السنية لم تحكم العراق بمذهب أو بدين وإنما حكموا كحزب قومي... حزب ليبرالي، حكموا كهاشمية، وحكموا كجمهورية، ولهذا فالناس لم يكونوا يشعرون بأن هذا الحاكم سني؛ لأنه لم يكن يحكم بشكل ديني، أي أنه لم يكن مثلاً يفضل أبا حنيفة على أبي جعفر الصادق، ولا يظهر على التلفاز يمسّ علي بن أبي طالب بشيء..

وفي كل عصور الدولة العراقية السنية، لم يُسمّ شارع واحد باسم أحد من بني أمية، لأن هناك شيعة، ولا يوجد في العراق شارع ولا مبنى ولا منتدى ولا مؤسسة باسم أي شخص أموي!

إذن على أي أساس ترى طائفة في العراق أن ما يُفعل الآن ضد السنة في العراق مبرر، لأن النظام العراقي السابق فعل بالشيعة الشيء نفسه؟

- هذه منطقة تثار سياسي، والتأثر موجود بين القبائل، وأي سياسة مبنية على التآثر لا يمكن أن تصدق!

## كنت مع المشروع الأميركي!

نعود إلى العراق الأميركي، هل النظام القائم الآن في العراق هو العراق الأميركي، بحسب رؤية حسن علوي تماماً؟

- في نظري أنهم يريدون أن يجعلوا العراق هونغ كونغ، ولكن ليس في الصين، وأن يفتحوا له تجارة، ولكن لن يوجدوا فيه صناعة، لأنه منذ أن يصبح صناعياً، فإنه سيهدد أميركا، لأن الدول الصناعية لا تكون عميلة، وهذا قانون معروف.

نحن كنا نتصور أن المشروع الأميركي سيساعد على تغيير السلطة وحلها، والدول المجاورة كلها كانت تتمنى أن يزول هذا النظام، ولم يحزن أحد عليه. لكن كيف يتغير؟ هذه نقطة، ومن الذي يغيره؟ هذه نقطة. وكيف سيصبح؟ هذه النقطة الثالثة. وهذه كلها جاءت على غير المتوقع؛ لأن الأميركيين لم يكتفوا بحل السلطة وإنما حلوا الشعب وفككوا الوحدة الوطنية، والآن بدؤوا في تفكيك الكتل المتجانسة بتأجيج الصراع بين السني والسني، والشيعي والشيعي، والكردي والكردي، والسنة بدؤوا بهذا المشروع، وإيران تحول دون

أن يقتتل الشيعة بعضهم مع بعض، بينما السنة لم يخضعوا لقوة تمنعهم من الاقتتال.

ماذا يمكن لدول الخليج العربي المحيطة أن  
تفعل لتحويل دون هذه المرحلة التي ستكون  
الأسوأ إذا حدثت؟

- فاقد الشيء لا يعطيه!



## فقه السيستاني (سني) وليس شيعياً!

ذكرت في لقاء سابق معك أن السيستاني يعد ظاهرة في ابتعاده عن الفقه الشيعي التقليدي، وأنه بعيد عن المدرسة الخمينية التي تدعو للالتزام بعباءة الفقيه. كيف ذلك ونحن لا نرى أي انفتاح في المدرسة السيستانية؟

- أنا أرى أولاً أن الحكم المباشر ليس للفقيه، أي أنه يقبل دور الفقيه في المجتمع وليس حكم الفقيه، فالفقيه له دور في المجتمع وليس له حكم، وثانياً أرى أن السيستاني اشتغل سياسياً بالفقه السني وليس بالفقه الشيعي، والسنة اشتغلوا بالفقه الشيعي وليس بالفقه السني. فالشيعة عند تأسيس العراق البريطاني قاطعوا الدولة والانتخابات، وقاطعوا المدارس، فانتهى الحكم إلى السنة. الآن هيئة علماء المسلمين في العراق الأميركي قاطعت الانتخابات وقاطعت الاستفتاء، ولم تنتبه للخدمات وتركت الأمور للشريعة، فالحرمان السني الحالي بعض سببه الفقهاء، كما أن مثيله الشيعي في العراق البريطاني بعض سببه الفقهاء أيضاً.

ولكن ما موقع السيستاني في هذا الواقع حتى  
تمتدح انفتاح مدرسته؟

- السيستاني اشتغل بالفقه السني الذي يقول لك: لا تترك الدولة  
للفتنة، الدولة أهم من الفتنة، ولو كان الحاكم جائراً؛ فلا يصلح  
الابتعاد عن السلطة.

الذين شاركوا في السلطة الحالية من السنة، هم الحزب الإسلامي  
وبعض العلمانيين، وهذا نفسه حدث عند الشيعة حين رؤوا أنفسهم  
معزولين عن الدولة، إذ بدؤوا يدخلون الدولة في العراق البريطاني،  
ولكن بعد أن فاتهم القطار، وفي الحالة الأولى خسر الشيعة مواقع  
في العراق البريطاني، وفي الحالة الثانية خسر السنة في العراق  
الأميركي، هذا التبادل الفقهي الذي أعنيه بين السنة والشيعة، وهو  
ليس نظرية وإنما واقع، لم يُكتشف ولم يُحلل بعد.

أيضاً ترى أن السيستاني بعيد عن مدرسة  
الخميني، كيف ذلك؟

- الآن هو المرشد الروحي الأعلى.

في ظل عدم وجود مدرسة فقهية شيعية مستقلة  
في العراق، كما يتردد الآن، ما الذي يمكن أن  
يوحد العرب الشيعة؟

- لا توجد مدرسة فقهية عراقية، فقد كانت موجودة، ولكن الآن الفقيه  
السياسي هو الذي يسيطر على الفقيه الديني، وحتى السيستاني  
استُحضر استحضاراً للعملية السياسية وابتعد عنها.

هل ابتعد عنها زهداً فيها أم لأنه فقيه ديني؟

- هذه مدرسته وهو لم يكن متفقاً مع الخميني، فمدرسة السيد عبدالمحسن الحكيم وتلميذه أبو الحكيم لا توافق على دخول المرجع في السياسة، مع أن أولاد الأخير دخلوا في السياسة.

ولكن يزعم بعض السنة أن السلطة الحاكمة في العراق، كثير من أفعالها تحظى بمباركة من هيئة إفتاء المرجعية.

- لا توجد لدى الشيعة هيئة إفتاء ولا فقيه واحد، وللعلم فإن السياسيين العراقيين المتفذين، والزعماء الاسلاميين الشيعة في السلطة العراقية، جميعهم لا يقلدون السيستاني، فالمجلس الإسلامي الأعلى يقلد السيد خامنئي، وحزب الدعوة له مرجعيته التي يقلدها، وتيار الصدر لديه كاظم الحائري، هذا واقع الأمر، وبالتالي، فإن الزعماء لا يأخذون الفتوى من السيستاني، بل يأخذونها من غيره، وفتواه غير ملزمة لهم.

وماذا بقي للسيستاني من دور بعد ذلك؟

- بقي له أتباعه من عامة الناس.

عبد العزيز السويد: ما حصل في العراق منذ قرار بريمر حل الجيش، هل هي أخطاء أم خطط أميركية؟

- بل هي خطط خاطئة، هم كانوا يتصورون أن بإمكانهم أن يسيطروا على العراق عسكرياً، فما قيمة وجود الجيش العراقي بالنسبة إليهم؟ فطبيعة المحتل ألا يسمح بسلاح آخر غير سلاحه، لأنه في الدولة المحتلة لا يوجد إلا سلاحان: سلاح المحتل وسلاح المقاوم. كان المفترض أن يجعلوه سلاحاً متصالحاً، لكنهم خافوا من أي سلاح آخر أن يتحول إلى سلاح مقاومة ضدهم، وهذه هي الخطة الخاطئة، فهم لم يكونوا يعلمون أن الجيش الذي سرحوه لن يشكل خطراً طالما أنه يشتغل تحت سيطرتهم، فطلع لهم الجيش نفسه، ولكن تحت سيادة أخرى، ولهذا نتجت من هذا المخطط الخاطئ أشياء خاطئة أخرى.

بما أنك قسمت العراقي إلى أميركي وبريطاني،  
فأيهما سيكون الأطول عمراً؟

- العراق الأميركي سيكون الأقصر عمراً، ومن الغرائب أن يكون الاحتلال عنواناً لبقاء العراق، كما يرى الحزب الإسلامي والشيعة معاً. هناك اتفاق سني - شيعي في السلطة العراقية، على أن ذهاب الأميركيين سيؤدي إلى الاقتتال.



## الصراع حين يكون على (العدو) . . لا معه!

| وأنت ماذا ترى؟

- الشيعة والسنة إذا تصالحوا هم من سيطرد الأميركيين، ولكنهم الآن في عراق وصراع دموي، وهذا الواقع المر هو الذي يوصلهم إلى نتيجة أنه إذا ذهب الاحتلال ذهب العراق، وطالما أن الأطراف العراقية هي التي تشعل الاقتتال، فلينها هذا الاقتتال؛ لكي لا يجد الأميركيون ذريعة للبقاء.

| وهل المحتلون أنفسهم يريدون مغادرة العراق  
حقاً؟

- مفهوم العراق الأميركي المتصل بالاحتلال قد ينتهي مثلما حدث للعراق البريطاني، ففي ٣ تشرين ١٩٣٢ انتهى الاحتلال البريطاني وأعلن استقلال العراق، لكن كانت هناك قاعدتان بريطانيتان، بهذا المعنى يبقى العراق الآن أميركياً وبرضا الأطراف جميعها. وفي بعض الأحيان لا يكون الصراع ضد أميركا، وإنما عليها، انظر إلى هؤلاء الذين كانوا يتصارعون، الآن كل منهم يقول: إن أميركا لا بد أن تبقى؛ لأن كلاً منهم يود خطب ود الأميركيين، هناك صراع بين

السني العربي والسني العراقي. السني العربي مسكين جاء للعراق لا ليطلب دفتر إقامة ولا إجازة عمل ولا جاء للسياحة، بل جاء ليموت، فأمامه «الجنة الخضراء»، أما السني العراقي فإنه يريد الاستيلاء على «المنطقة الخضراء»، ويفكر كيف يصل لها ويأخذ حقوقه مثل الشيعة.

هل يعني هذا أن المقاومة الباقية من السنة  
العرب فقط؟

- وقليل من السنة العراقيين، وبعض الشيعة كأفراد، أما العشائر العربية فلا توجد داخل التيار الصدري ولا غيره، فهي الآن في دور السبات، ليس لها دور في السلطة ولا في المعارضة.

نشر لك رأي تؤكد فيه أن مشايخ الشيعة أمرهم  
رجراج، وفقهاء السنة هائجون مائجون، ماذا  
تقصد بهذا؟

- الشيعة مثل المشتبهة المستحبة، أتوا بالأميركيين معاونين لهم، ومع ذلك يحاولون إخفاء ذلك، لكن هذا لم يحدث مع السنة في العراق البريطاني، كان موقفهم واضحاً.

وذكرت أيضاً أن الشيعة في أثناء معارضتهم كانوا  
أرأف بالسنة، على عكس السنة حينما صاروا  
في العراق الأميركي، على حد اصطلاحك،  
محكومين؟

- وما زلت أقول، إلى حد ضرب سامراء.

| وبعدها ماذا كنت تقول؟

- بعدها بدأ الشيعة ينتقمون، وقبل هذا كان دورهم سلمياً، في أثناء وجود سيادة سنية لم يقتل محافظ ولا اغتيل رئيس مركز لأنه سني، ولا اغتصبت فتاة سنية من شيعي.



## الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟!!

كأنك تقول: إن الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟

- نعم كانوا كذلك في العراق البريطاني، عند مقارنتهم بالسنة في العراق الأميركي، واستمرت الحال إلى حدٍ ما في العراق الأميركي إلى أن ضربت سامراء، بعد ضرب سامراء تتمر الشيعة وبدؤوا في إحراق مساجد السنة، وبدأ القتل على الهوية بصورة لم يشهدها العراق من قبل!

أشرت في بعض أطروحاتك إلى أن المشروع العربي هو الحل، بينما ترى طوائف أخرى من الطائفتين أن الحل بيد المعممين من السنة والشيعة، بمعنى آخر، رجال الدين؟

- هذا سؤال فكري فضفاض، وأنا عندي كتاب عن الدولة القومية، راجعه تجد فيه الإجابة على سؤالك.

هل تنص في كتابك على أن الحل لدى الإسلاميين أم لا؟ هذا ما تهمني معرفته الآن؟

- ذبحتني بأسئلتك! خفف عليّ.

تحاملت في أحد كتبك على القومية العربية،  
وقلت: إنها تعريب، والتعريب حرام، لماذا؟

- التعريب هو القسر على اعتناق اللغة بلا إرادة الطرف المستعرب، وتعريب العجم يعني تغيير هويتهم، وهو ما يتعارض مع الجعل الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٢)، ولكن بالاستجابة الطبيعية الشعوب كلها تعربت، لأن العروبة أصبحت وسيلة المسلم لفهم الإسلام، فاستعرب بإرادته، ولذلك عمر بن الخطاب حين فتح العراق ووجد القوميات غير العربية تركها على لغاتها، ولو أن عمر فرض على هؤلاء العروبة لما بقي من هؤلاء أعجمي أو تركماني أو كردي أو آشوري.

ذكرت في أحد كتبك أنه لا توجد فتوى شيعية  
تجيز قتل السني، بينما توجد أعداد من الفتاوى  
السنية قديماً وحديثاً تجيز إهدر دم الشيعة، هل  
أنت متأكد من ذلك؟ والقتل على الهوية الذي  
اعترفت به آنفاً، إلام يستند؟

- هذه مسألة يطول شرحها وقد تلتبس على الناس، لأنها تحتاج إلى مقدمات، فالطائفية الشيعية في العراق تاريخية، أما الطائفية السنية فإنها معاصرة، هذه واحدة. الشيعي غير متصلح مع التاريخ بسبب شتمه بعض الصحابة، بخلاف السني فإنه متصلح

مع التاريخ، لأن كل أئمة أهل البيت بالنسبة إليه أولياء صالحون، فمشت أمورهم. فالشيعي عندما يشتم عمر لا يرد عليه السني بشتم علي، وإنما يقول له: أنت كافر ودمك حلال، هذا السبب في ظهور الفتاوى التي سألت عنها لدى السنة، أما الشيعة فإنهم لم يحتاجوا لتلك الفتاوى حتى يصدروها.

| عبد العزيز السويد: والنواصب؟!|

- النواصب المقصود بهم بنو أمية، وهم قوم لهم خطاب خاص في الفقه الشيعي.



## مساكين يبحثون عن الجنة!

في معرض حديثك عن المفارقة بين الطائفتين في الاستجابة للعنف، ذكرت في أحد لقاءاتك أنه لن يظهر «زرقاوي شيعي»، ولكن ما الفرق بين الزرقاوي والمليشيات التي تؤدي المهمة نفسها في الطرف المقابل؟

- قد يكون هناك التباس، فأنا خرجت على «المستقلة» ذات يوم، وقلت: إن جبر صولاغ هو «زرقاوي الشيعة!»، الفارق أن المعسكر الشيعي يمثل الدولة وهذا الخطر، وقلت: إن السنة سيقتلون الزرقاوي. وأكدت أن مشكلة الزرقاوي قبل أن يقتل في الأساس مع السنة، لأن السني العراقي يريد الحكم والزرقاوي يريد الموت، فحتى يتخلصوا من هذا الإشكال عليهم أن يقتلوه، وفعلاً تخلصوا منه. السنة هم الذين قتلوا الزرقاوي!

أكدت أن السني العراقي يريد الحكم، هل أفهم من هذا أن في العراق سنة غير عرب، أو عرباً غير عراقيين مؤثرين في الخريطة السياسية؟

- السني العربي جاء للعراق ليس طلباً لدفتر الإقامة ولا حق عمل ولا راتب، جاء ليموت في المنطقة الخضراء، أما السني العراقي فإنه أمام المنطقة الخضراء، يريد أن يتفاهم ويسهم في الحكم. السني العربي ليس جاسوساً ولا مرتزقاً.

| عبدالعزیز السويد: إرهابي يُسمَى؟

- السني العربي ليس إرهابياً، إنما هو مسكين يبحث عن الجنة. أما السني العراقي فإنه مدني سياسي. وهذه مشكلة السلفية، فإنها عقيدة بلا مصالح، بخلاف الإخوان فإن لديهم عقيدة ومصالح.

| ذكرت في أحد حواراتك الصحافية القليلة جداً، أنك أحصيت ٧٠٠ ساعة تدعم فيها قنوات عربية منظمات الذبح السنية، لماذا لا تسميها منظمات مقاومة؟

- هذا الكلام كان فيما قبل عام ٢٠٠٥، أما الآن فإن هناك متغيرات حدثت، فبعد سامراء استشرس الشيعة، فصاروا أيضاً شركاء في الذبح على الهوية.

| ألمحت إلى أن الليبرالية قد يكون بيدها الحل بعد أن فشلت الطائفية؟

- الليبرالية ليست عقيدة وإنما هي منهج، والليبرالية التي أعنيها هي التي تمنح الناس التفكير والمشاركة في الرأي، وهي التي تمثل معنى آية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أنها آية منسوخة!

وأنا شخصياً لا أرى أن الليبرالية حل، وإنما هي منهج للعمل.  
والعراق لم يكن في يوم من الأيام ليبرالياً، ولا يتحمل الليبرالية غير  
المتدرجة، والمؤسسات التي تقوم عليها الليبرالية لم تقم في العراق،  
وهي الصحافة الحرة والبرلمان والرأي العام.



## انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين!

بما أنك أقررت في إجابة سابقة أنك كنت تناصر المشروع الأميركي في العراق، فما هو الدور السعودي في إسقاط صدام، وأنت أحد الذين لهم اتصال بقمّة الهرم السياسي في المملكة، ومبرر هذا السؤال أنه رغم مساعي السعودية في نهي الأميركيين عن اجتياح العراق، إلا أن أطرافاً تزعم أن وراء هذا التوجه، خطاباً مستتراً يؤلبهم عليه... بصفتك شاهداً مع المشروع الأميركي في تلك المدة... ما هي الحقيقة؟

- الدولة السعودية دولة مركزية، لا تحتل ظهور أقلية وفرقاء، فهي تسير على نظام أبوي صارم، وكان الملك فهد قد ترأس اجتماعاً للمعارضة العراقية كنت أحد المشاركين فيه، لكن الإدارة الأميركية هي التي تشظت إلى أكثر من فريق، وانتهت بانتصار الكونجرس والبنتاغون على فريق السي.آي.إيه والخارجية. كانت المملكة العربية السعودية تسعى للتغيير بأسلوب الانقلاب العسكري، فاجتمع إليها عسكريون عراقيون خارجون على النظام، مع شخصيات كان

لهم دور في قيادة حزب البعث، بالإضافة إلى عسكريين يعيشون في المملكة منذ مطلع السبعينيات، لكن السعودية لا يتناسب وقارها مع العمل الحزبي وتشكيل خلايا ثورية وتحريك القوى والعوامل الخاملة، مما قد تتجم عنه مخاطر فتنة على الطريقة العراقية، فتوقفت المملكة للمراجعة، وإن بقيت مصرّة على أن الانقلاب أفضل الطرق للتغيير في العراق.

وقد تشكل كيان معارض بنظرية أخرى داخل الولايات المتحدة الأميركية لسحب المعارضة من الرياض إلى واشنطن، واعتماد شخصيات أخرى، فظهر المؤتمر الوطني وأحمد الجلبي، وانهقد مؤتمر فيينا، وكان انعقاده مزعجاً للدول الثلاث التي كانت تشرف على اجتماعات المعارضة العراقية، وهي سورية وإيران والسعودية.

وأنت أين كنت من هذين المشروعين، وقد بدت لك  
علاقات خاصة مع السعوديين في وقت مبكر؟

- كنت ضد مشروع الانقلاب، لأنه يعني بالنسبة لي أن كتبي وكتاباتي ومليونون ضحية عراقية لم تكن إلا عبثاً، بحيث أغفل «دولة المنظمة السرية»، و«الشيعية والدولة القومية» وسواهما، وجهودي التي تركز على عالمية بغداد وسلطة مشتركة وليست أحادية.

لكن لا أخفيك الآن، وقد وضعت في مواجهات سرية وعلنية مع رجال المشروع السعودي، ومع الجهة المسؤولة عن الملف العراقي، فأقول، ولكن بعد تجربتنا في العراق الأميركي: إن فكرة

الانقلاب كانت أسلم وأنفع مع قليل أو كثير من المشاركة في صناعة القرار.

وكيف توفق بين علاقاتك مع السعوديين، ودورك  
في المعارضة، والسعودية بشهادتك كانت ضد  
المشروع الأميركي؟

- عندما تتصف بشيء من سعة الصدر والليبرالية والحياد، يمكن أن تتحدث مع خصمين في وقت واحد، وربما سيحتاجك الخصمان معاً. كنت في اجتماع ثنائي مع أحمد الجلبي في مكتبة بمقر المؤتمر الوطني في حي نايس (برج في لندن)، ولم أكن من مرتادي هذا المقر، ولم تزد زياراتي له على الثلاث مرات خلال سنتين، حيث أكتفي بالعمل من مكنتي، بعيداً عن كل ما يذكرني بالمركز والمقر والاجتماع.

استعرض الجلبي بتفاؤله المعهود خطوات سياسية مفيدة لعملية التغيير، وأشار إلى السعودية باعتبارها مشكلة للعراق في الحاضر والمستقبل (!!!) وسألني إذا ما كان ممكناً لي أن أستثمر علاقاتي مع القيادة السعودية لإزالة مخاوفها من المستقبل، وتحدث عن موقف البنتاغون وبعض النافذين في الكونجرس من سياسة المملكة إزاء المؤتمر الوطني.

وفي الأمثلة التي قدمها لي، وهو ينقل آراء المسؤولين الكبار في الإدارة الأميركية، أحسست بهجمة تستهدف الملك عبد الله شخصياً

(لما كان ولياً للعهد)، فسألته عما إذا كان وراء هذا الاستهداف لوبي إسرائيلي، فقال:

الأميريكيون يتحدثون عن مصالحهم بوضوح، وعن مصالح إسرائيل بالطريقة نفسها، ولا يذهب بك الاعتقاد أن مسؤولاً كبيراً في الإدارة الأميركية يتحول إلى أداة لصالح دولة أخرى، إلا إذا كانت الدولتان تشتركان في رؤية ومصالح واحدة.

وبحركة سريعة قال الجليبي: لا يجوز استسهال التحليلات، لأن هناك خلافاً سعودياً أميركياً كبيراً، فهل تريد أن أسمعك موقف مسؤولين كبار من السعودية والأمير عبد الله بالذات؟ فتقدم إلى الهاتف، وطلب اسم شخص في البنتاغون وأنا أستمع إلى حوارهم وكان الشخص الأميركي يتحدث بلغة غير ودية عن السعودية والأمير عبد الله!

وكان الجليبي قد عرّف لي الشخص المتحدث، وسألني بعد انتهاء المكالمة التي استمرت عشرين دقيقة، إذا كنت مستعداً لنقل وجهة نظر شخصيات أميركية أكبر من هذا المتحدث، وحمل رسالة إلى الأمير عبد الله، تكشف موقف فريق فعال في الإدارة الأميركية من المملكة العربية السعودية، فاعتذرت إذا كانت الرسالة حادة أو صارمة، واشترطت الالتقاء بالشخصية الأميركية مباشرة، ومعرفة مكانتها هنالك، فحضر بعد أيام مسؤول أميركي رفيع المستوى، وتحدث بنوع من الاحترام للأمير، وحرص المتحدث على أن يرى

الأمير قائداً لدولة بحجم المملكة، لكنه لم يخف ملاحظات إدارته الخاصة، وتتعلق بثلاثة أهداف:

(١) إن التثقيف في المملكة ونظام التعليم، من شأنها -حسب زعمهم- أن تخرج مجتمعاً يمكن أن يظهر فيه متطرفون ينتشرون في العالم.

(٢) إن السعودية، إن لم تدعم صدام حسين، فإنها لم تشارك الإدارة الأميركية في مشروعها لإسقاطه، وأظنها الآن - أي المملكة - تقدم العون حالياً للحيلولة دون سقوط نظام صدام حسين، وكأن المتحدث يلوح إلى رد فعل الجوار العراقي من إستراتيجية التغيير الأميركي في المنطقة.

(٣) إن سياسة المملكة والأمير عبد الله بالذات تجاه قضية فلسطين تميل إلى التشدد، بل وتحريض دول كمبر على التزام هذا الجانب. ومشاركة الدول العربية المتشددة في قضية السلام العربي الإسرائيلي.

اتصلت في مساء ذلك اليوم بصديق كبير في الديوان الملكي السعودي، وأشرت إلى اعتذاري عن إيصال رسالة أبلغني بها مسؤول أميركي إلى الأمير عبد الله، لما فيها من مواجهة لست أهلاً لها.

فقال المتحدث السعودي: لا. عليك أن تبلغها لصاحبها بأسرع وقت اليوم قبل الغد، وكان يوم الخميس، فوصلت الرياض بعد منتصف

الليل، وتوجهت إلى لقاء الأمير صباح يوم الجمعة في منزله في الرياض.

عرضت عليه تطورات الوضع في المعارضة العراقية، واتجاه النية للتغيير في العراق لا محالة، وعن إمكانية التأقلم الإقليمي مع هذا الواقع، بما سيأتي به من مستجدات وتطورات، وعرجت بأسلوب دبلوماسي رقيق إلى ما أسميته احتراماً للمقام باتهامات متداولة عند فريق أميركي نافذ، وبدأت أقرب من عرض الملاحظات الأميركية الثلاث، فانتفض الأمير وهو يستمع إلى الملاحظة الأولى قائلاً: هل يريد هؤلاء أن نخرج على عقيدتنا ومبادئ ديننا وأعراف مجتمعنا مقابل أن يرضوا عنا؟ ومن هؤلاء الذين يكيدون هذا الكيد، ومن يتبنى أمر مواجهة الدولة بمسلميها؟ وماذا يبقى لنا إذا حدث هذا الأمر لا سمح الله؟ وهل يعرف هذا الفريق أو ذاك، أننا أحدثنا إصلاحات كبيرة في نظام التعليم.

وعند الملاحظة الثانية المتعلقة بمستقبل نظام صدام حسين قال الأمير عبد الله: إننا لسنا مسؤولين عن استقدام صدام حسين وحزبه إلى السلطة، ونحن على خلاف معه منذ يوم الانقلاب حتى تناولته على حرمة المملكة بضرب عاصمتها بالصواريخ، وحشد جيشه على حدودها وتهديد أمنها. لكننا لن نتعاون مع دولة تسعى للإطاحة بنظام عربي بهذه الطريقة، ولا نشارك في هذه السابقة، ولو اعتبرنا مع من يسعى لحماية صدام، ولن نضحي بمصالح العراق ووحدته، بل نحذر هؤلاء من مخاطر هذا المشروع، وهذه الطريقة لتغيير حكومة أو نظام.

أما بخصوص الملاحظة الثالثة، فالمجال متسع لتقديم أفكار أو مشروع للسلام العربي الإسرائيلي بما يحفظ مصالح العرب والفلسطينيين، وهذا الأمر منوط بجميع الدول العربية، وهو أمر قابل للمناقشة.

لم أكن مستمعاً لردود الأمير عبدالله فحسب، بل كنت محاوراً فعلاً، حتى إنني وهو في صميم دفاعه بلغة قومية صارمة قلت له:

إذن من حق هؤلاء أن يصفوا موقف صاحب السمو بما يشبه مواقف ماوتسي تونغ سابقاً. لقد طرحت عليه هذا الاسم بابتسامة، ثم أردفت قائلاً:

صاحب السمو، إن المملكة لم تقم إلا على سياسة الاعتدال والتفاهم مع الغرب، فلما ذا لا تترك صدام حسين ونظامه الذي جرّ المآسي إلى هذه المنطقة؟ ثم إن المملكة لا تتحمل سياسية متشددة.

قال الأمير: إنني أواجه المتشددين في كل يوم، ولكن بطريقتنا الخاصة وبأسلوبنا وأعرافنا. ثم وجه الأمير كلامه لي قائلاً بالنص:

إن هذا المشروع سيجلب لكم المآسي والفرقة، ولن يعود عليكم وعلى العراق بالخير.

## كتابي أهدر دمي!

أخيراً إلى أي شيء انتهيت في كتابك «عمر والتشيع» الذي أعادك إلى الأضواء مجدداً؟

- من الأخطاء الكبرى أن ينظر إلى عمر على أنه نصف الإسلام، والنصف الآخر علي. عمر ليس نصف الإسلام، بل هو كل الإسلام ناقصاً خمسة!

ومن هم الخمسة؟

- أصحاب القطيعة، وبالتالي لا توجد مناصفة، وللأسف حتى الطرف السني خضع لهذه المناصفة الخاسرة، عمر لم يتطّف نصفاً، عمر هو كل العرب ناقصاً خمسة، عمر هو كل التاريخ ناقصاً خمسة في المئة، خذ مؤلفي التشيع القدامى المسعودي والأصفهاني واليعقوبي، تجد أن رأيهم في عمر مثل رأي حسن العلوي.

وكيف كانت ردود الفعل بعد الكتاب؟

- الكتاب لم يُورّع بعد.

وما توقعك لردود الفعل؟

- رد الفعل معروف عندي منذ سميت ابني عمر قبل ٤٣ سنة، ويتوافد علي أناس لم ينطق أحد منهم في حياته باسم عمر، فجلسوا يقترحون علي أن أسميه عماراً، بحثاً عن أي تحريف لاسم عمر، وبعضهم يسألني: أي عمر تقصد؟ فأقول عمر في التاريخ واحد، هو عمر بن الخطاب، وما سميت ابني عمر إلا حباً في عمر ابن الخطاب، وسيأتي يوم أكتب فيه كتاباً عن عمر. خمسون عاماً مضت وأنا أبشر نفسي بكتاب أخطه عن عمر، فكتابي هذا ابن خمسين سنة، جمعت فيه عواطف خمسة عقود!

عبدالعزیز السويد: وأنا أشهد أنني معك عام ١٩٩٢ وكنا نتحدث عن عمر، فأنا أشهد أن شخصية عمر منذ عهد بعيد كانت مسيطرة على أبي عمر حسن العلوي.

- أنا لست متحولاً أبداً، كتابي هذا هو أنا منذ خلقت.

هناك من سيشكك في صدقية نهجك هذا، وسيفسره بنظرة تأمرية، من ذلك وجدت صحيفة عراقية تقول: إنك شيعي في المغنم، ومتبرئ من المذهب في الملمات.

- (غاضباً) إذا كان المغنم أن الدولة الحاكمة في العراق الآن شيعية وأنا من بُناتها، إذ كنت زعيم المعارضة الإعلامية منذ ٢٣ سنة، فالمفترض مني على رأي من يقول هذا أن أقبل بكل العروض التي

جاءتني منها، وأتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها أمثالي، أو أكون تاجراً أعقد الصفقات ويصير عندي ملايين. أنا الخاسر. تارك بلدي ومواقعي ومناصبي، والرواتب التي تدرها، والصفقات التي تدرها السلطة، وأعرض حياتي للتهديد... كل هذا مغنم؟ أأحد يترك كل ذلك ويقال: إنه طالب مغنم، لا يقول هذا إلا السفلة من الشيعة والسنة!

هذا ظننا فيك، ولكن هذه تهمة طبيعي أن تتردد،  
فسامحنا؟

- عبد العزيز السويد: من البدهي أن يكون لمثلك أعداء من السنة والشيعة، فكل المصلحين عانوا.

- العلوي: تألّفي لهذا الكتاب يعني أنني غامرت بروحي، ووظيفتي تركتها، وبلدي الذي يقتل على الهوية قاطعته، فأني شيء يمكن أن يعوضني عن كل الذي خسرتة؟ وأي دولة سنية تستطيع أن تعوضني عن حياتي وعن خسائري؟

عبد العزيز السويد كرر مواساته السابقة للضيف.



## دستور العراق الحالي تشويهه للفيديريالية

الدستور الحالي ليس أكثر ليبرالية من الدستور الملكي، لقد كان لدينا دستور ملكي تأسس عام ١٩٢٥، وكان نموذجاً يحتذى به، لكن طراز الحياة السياسية لجم سراج هذا الدستور. الدستور الحالي به هوامش ليبرالية واضحة، تجعله دستوراً ليبرالياً، لكن فيه أخطاء واضحة أضعفت المركزية أكثر مما ينبغي، وأعطت الأقاليم الصغرى حقاً في القرار الأكبر، في صورة لا توجد في نظام الولايات والفيديرياليات العالمية.

في أميركا، وهي دولة فيديريالية، هل تسمع صوتاً غير صوت بوش؟ أين صوت حاكم كاليفورنيا؟ هل سمعت أن حاكم كاليفورنيا ذهب ليعقد اتفاقاً مع المكسيك مثلاً؟! بينما في العراق يذهب محافظ البصرة ليعقد اتفاقاً مع إيران! الدستور هو الذي أعطاه هذا الحق. الدستور العراقي أعطى الحق للمحافظة في أن تنفصل عن الإقليم، إذن، دستور العراق الحالي لا يؤمن القدر المطلوب للوحدة الوطنية، ويعتبر تشويهاً للنظام الفيديريالي في العالم الذي يوصف بالليبرالية. الليبراليات في العالم تقوم على مركزية القضاء والخارجية والدفاع، ولا تعطي أي حق للولايات في أن تخرج عن حدودها وتبرم معاهدات كما نرى في العراق! (من الحوار).

## القطيعة ستحاصر الشيعة العرب

على سعة نفوذها المحكم على المؤسسة الدينية وسيطرتها على الذهن الشعبي، لم يقدر لنظرية القطيعة أن تجد لها صالة أكاديمية ومريدين متتورين في الوسط الشيعي على الأقل في مقاسات النخب النوعية.

إن أكثر الأسماء بريقاً في العراق وأحياناً في البلدان العربية والإسلامية تنتمي إلى القول بمبدأ المشاركة والتجانس بين الإمامة والخلافة في العهد الراشد.

ففي الجانب المشارك، تلمع أسماء ريادية لم ينافسها اسم في مدرسة القطيعة، التي تبدو أكاديمياً شبه مهجورة في العراق، ليس لغلبة النشاط السني الداعم والمبشر بنظرية المشاركة، بل لعبقريات خرجت من مدن التشيع إلى العالمين العربي والإسلامي برؤية تنويرية رائدة.

فعسى أن نللم شتاتنا لقيام مدرسة لوحدة المشاركة بأساتذتها وأتباعها وإنتاجها الفكري والإعلامي، وبهذا قد نصون وحدة التاريخ العربي، ونصون قبل ذلك حياة المنتمين لمدرسة أهل البيت، ونتسامى

من حمأة الكراهية والدماء إلى رحاب السلم الأهلي، لا سيما وأهل التشيع هم الأقلية في محيطهم العربي، ومثل ذلك في عالمهم الإسلامي، بدل المواجهة الإعلامية التي طالما تقود في مرحلة آتية أصحابها إلى سكاكين الذبح.

إن دعاة القطيعة لا يقتصر أداؤهم السلبي على مرحلة في التاريخ الإسلامي فحسب، بل أيضاً على قطيعة اجتماعية وسياسية وحياتية بشكل عام مع مجتمعا العربي.

ومع ارتفاع وتيرة التحريض في خطاب القطيعة ترتفع إجراءات القطيعة العربية لحاملي هوية التشيع، فيصبح الوسط الشيعي هو المقاطع والمركون في حجر العزلة.

وإذا كانت نظرية القطيعة أقامت في إيران إمبراطوريات كبرى، وأسهمت في إيجاد وحدة تقوم على التمدد القومي، فلأن إيران عالم خاص يعيش في شبه قارة، لها عناصر قوة لا تتوافر لأهل التشيع في بلد آخر. وليس لإيران مجال حيوي غير بلاد فارس، فيما المجال الحيوي للشيعية العرب مفتوح على عالم يمتد من ثراء الخليج وينتهي بثرأ المحيطات، وسيحول بين أبنائنا وحق الحياة في امتدادهم العربي، قول آبائهم بنظرية القطيعة مما يدفعني إلى التصريح بأن نظرية المشاركة لا تقف عند اندماج الإمام علي مع الدولة والمحيط في التاريخ الإسلامي الأول، وإنما تدعو إلى اندماج بشري وقومي وإنساني واندماج المصالح للمنحدرين من سلالات

شيوعية مع مجتمعمهم العربي، ومن دون ذلك فسيكون عبور شيعي عراقي إلى الخليج كعبور الخليجي السني إلى جنوب العراق في هذه الأيام من أواخر عام ٢٠٠٦. وهكذا يتحد الحرص على المصالحة التاريخية بالحرص على الصلح الاجتماعي مع الماضي والحاضر.

إن كتاب «أصل الشيعة وأصولها» للإمام كاشف الغطاء ومهزلة العقل البشري لعلي الوردی وفصول من تاريخ الإسلام لهادي العلوي وشيء من هذه المحاولة هي جوازات مرور تخترق جدران القطيعة، التي يستفاد منها في إيران لكنها ستضرب مصالح الشيعة العرب أينما ولوا وجوههم.

وفي منهج الوردی يمكن عرض الملاحظات الآتية لعل جيلاً سينتبه إلى أهميتها مثلما استيقظ العراقيون بعد الحرب العراقية - الإيرانية على صوت الوردی وعادوا يستجدون بمناهجه العلمية.

لقد أشاح الوردی عن التاريخ «أبراده القشب» وتحدث إليه بمثل ما تحدث طه حسين وجهاً إلى وجهه، وأتاح ذلك له التحاور الإنساني مع المقدس، ووضع رجاله على طاولات التشريح الاجتماعي العلمي باعتبارهم بشراً، واستخرج من تاريخ الصراع المذهبي المرويوات المشتركة والخاصة لإبطال القائلين بنظرية القطيعة ليس فقط بين عمر وعلي، بل أعطى أمثلة ونصوصاً لفقهاء المذاهب الأربعة وميلهم لأهل البيت، واستل الوردی عمر بن الخطاب بمهارة وعفوية من أمويته المخترعة، وعاد به إلى الخط المحمدي، فأبطل أطروحات

فقهاء الخلاف وأحالتها إلى عاملين: صراع المصالح الخاصة، وعامل يتصل بطبيعة النفس البشرية وتعقيداتھا، والتقط الممتع والجاذب من تاريخ الإسلام. فحبيب إليه من لم تكن لهم مصالح في القطيعة، بينما كان الفقهاء ورجال الدين من أوائل المتطوعين لوضع كتب في الرد عليه، وأبرز من كتب في نقد الوردي آية الله السيد مرتضى العسكري ورضا صادق وعبدالمعنى الكاظمي وصالح القزويني. من كتاب «عمر والتشيع».



## لو اعتمد الانقلاب لربح الشيعة والسنة معاً!

سأختلف مع القائلين بأن الاجتياح الأميركي يرتبط بتداعيات ١١ سبتمبر.

يحضرنى في هذا المجال رأي نشرته في المجلات والصحف العربية، ودونته في أحد كتبي، وهو جواب على سؤال مماثل عن الاجتياح العراقي للكويت، وما قلته في هذا الاجتياح يصلح أن يكون قاعدة تاريخية للاجتياح الأميركي.

إن الكويتيين كرسوا جهودهم وأفكارهم ونشاطاتهم، حتى في كتابة تاريخ الاجتياح على الاجتياح نفسه، وهو لحظة عسكرية محضة، وتنفيذ قرار عسكري يتصل كما أعتقد بأيدولوجيا الضم التي تمتد في العراق إلى منتصف الثلاثينيات الميلادية.

إن الغزو الأميركي كذلك ليس هو اليوم الذي يُكتب تاريخاً بدخول القوات الأميركية بغداد، أو بسقوط النظام في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م.

إنه ليس نتاج لحظة رحمانية أو شيطانية، جمعت أشخاصاً من المعارضة العراقية مع مسؤولين في الكونغرس والخارجية والأمن،

ليخرجوا منها متفقين على برنامج إسقاط النظام الذي تعارضه هذه الشخصيات العراقية باجتياح عسكري أميركي.

لو كان كل معارض يحظى بتأييد أميركي، ثم يتحول هذا التأييد إلى عمل عسكري ضخم لإسقاط النظام السياسي، لكانت أول تجربة ستم أو ستجز في كوبا المجاورة للولايات المتحدة، حيث تقيم المعارضة الكوبية المنظمة والواسعة هناك منذ أكثر من أربعين عاماً، ولكانت حركة «مجاهدي خلق» الأكثر تنظيماً وإقداماً، شكلت مجلس الحكم لإيران الأميركية، منذ عشرين عاماً، وكانت المعارضة الليبية سبقتنا بثلاثين عاماً لإقامة ليبيا الأميركية.

إن ظهور العراق الأميركي في ٩-٤-٢٠٠٣ ليس أول ظهور، بقدر ما كان يوم ولادة سبقته مخاضات معقدة، ولعلنا عشناها، لا متفرجين أو محايدين، بل مشاركين.

فمنذ انتهاء العراق البريطاني يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م، وقيام العراق العراقي للمرة الأولى، وتجميد العمل بتمذهب الدولة، ونقل بغداد من أحاديثها «المقرفة» إلى عالميتها العباسية الرحبة، وتعرض الحكومة العراقية المحايدة عنصرياً ودينياً وطائفيماً إلى محاولات يومية قادمة من غرب العراق وغرب العالم، انتهت يوم ٩ شباط (فبراير) ١٩٦٣م بإعدام العراق العراقي زعامة وحركة وطنية وحزباً ديمقراطياً، وليس لك أن تتساءل كيف أسقط نظام سياسي كان أتباعه أكثر من خصومه، وقوته العسكرية باعتباره محمياً بالجيش العراقي لا

تساويها قوة ميليشيا ناشئة معزولة باسم الحرس القومي، فيسقط الجيش والنظام بيدها .

إن زعماء الحزب الذين أسهموا في حركة إعدام العراق العراقي، هم الذين أجابوا على هذا السؤال بشجاعة لم يتحل بها نظراؤهم في الأحزاب العراقية .

أما واحد مثلي، عاش مع الحزب منذ منتصف الخمسينيات بصفة (مراقب) فإنه ربما التقط الكثير، واحتفظ بالأكثر من الشهادات والأفكار، التي قد تؤيد ما ذهب إليه زعماء الحزب ممن خرجوا عليه في وقت باكر .

ولا أتردد في القول هنا: إن الغزو الأميركي للعراق هو لحظة عسكرية تشبه غزو الكويت، تسبقها أربعون عاماً كشفت عن علاقة ما بين ٩ شباط و٩ نيسان ٢٠٠٣، وهي علاقة توالد وتراحم وانتساب، ولهذا، ومن دون مقدمات فضفاضة، أقول: إن حجر الأساس للعراق الأميركي وضع في يوم ٩ شباط ١٩٦٣، في أستوديو الإذاعة العراقية، وممرت الأربعون عاماً بمراحل وحكومات، وبأحزاب ورجال، قد لا يكونون شركاء في بناء العراق الأميركي، إنما هم شركاء في القضاء على العراق العراقي. وإذا كانت بعض المراحل التي حكم فيها القوميون العرب بنقائهم الناصري، ووطنيتهم العربية، مُدداً داخل هذه الأربعين عاماً، فمن المعروف أنهم لم يكونوا جزءاً ولا طرفاً ينافس المركز الأول المتمثل في حزب ٨ شباط ١٧ تموز، بزعامته التي برمجت الأوضاع

وهيأت الظروف لإنضاج وقيام العراق الأميركي. ربما تحدثنا عن تفاصيل العراق الأميركي من زوايا مختلفة، وبغضوية كما ترى، أما إذا كنت تبحث عن نبوءة للمستقبل فلتقرأ في فنجان العراق الأميركي. إن العراق سيكون فيديريالياً وديموقراطياً، وقد غادر مرحلة تاريخية، وليس لأي قوة سياسية أن تعيده إليها. لكني أفكر دائماً بالخبرة السننية الهائلة في صناعة السلطة وإدارتها، ما يدفعني إلى مجاهرة الفئات العراقية الأخرى بضرورة ألا تتعامل مع السنة باعتبارهم رقماً سكانياً. وألا تخضع مشاركتهم في السلطة إلى نسب رياضية، وألا يغتر طرف، لاسيما الشيعة، بحجم التصويت الانتخابي؛ لأن السنّة قد يرون أنفسهم أمام وضع صعب في قبول حكم الغالبية المطلقة، وقد يتعرض العراق إلى الانقسام برغبة سننية هذه المرة، وليس برغبة الدكتور أحمد الجبلي والسيد باقر ياسين في إقامة إقليم الجنوب قبل أوانه.

وتلوح أمامي خطوط لأفكار قد تكون الأطراف السننية والإقليمية فكرت أو ستفكر فيها، لتوسيع الجغرافيا السننية في الفيديريالات المقترحة، بضم ما يتعارفون عليه بإقليم بغداد إلى هذه الفيديريالية، وجعله يمتد إلى محافظة ديالى حتى الحدود الإيرانية، فيما ترتبط ذراعه الغربية بالحدود السورية عبر الفلوجة والرمادي والقائم.

ولهذا ألاحظ أن عمليات التفجير والذبح تتركز في مناطق بغداد المختلطة، حيث تقبل المناطق المختلطة فكرة التحول إلى مناطق

متجانسة أحادية مغلقة، وهو ما يسمونه الآن بالتطهير العرقي، أو المذهبي، فيما هو أقرب إلى «التقدير» منه إلى «الطهر والطاره».

ومن شأن عملية كهذه أن تنتهي إلى إقامة جدار سني عازل، من خانقين حتى الحدود السورية والأردنية.

أما توسيع جغرافيا الفيديرالية السنية فهو واضح في عمليات ذبح طائفي، تبدأ من اليوسفية والمحمودية واللطيفية والإسكندرية، إلى مشارف الحلة الشيعية، والمدائن، ومشارف الكوت، وقد لا تعترض أميركا على نتائج قد يحققها السيّافون بدلاً من السياسيين، والزرقاوي القادم من الجوار الإسرائيلي بدلاً من ديموقراطية كامل الجادرجي وحسين جميل وصديق شنشل وفائق السامرائي، وسلامة الطوية للرئيس محمد عبدالرحمن عارف من قادة السنة في العراق.

لقد قيل في رسم الحدود العراقية مع الكويت والسعودية: إنها جاءت بضربة قلم خاطفة من برسي كوكس، وأقول الآن: إن ضربة سيف خاطفة من الزرقاوي ستقطع العراق من طربيل حتى خانقين. وبهذا يتخلص السنة من حكم الأكثرية، ويتشكل الخط العازل بين الشيعة والأكراد، بخط عازل لا شيعي ولا كردي.

في مثل هذه اللحظات، ينفجر سري وأشعر بعذاب داخلي، وأراجع حجم شراستي ضد أفكار كان السعوديون ورجالهم من العراقيين يطرحونها، لإنهاء صدام حسين بانقلاب عسكري تراعي فيه السلطة الجديدة التوازنات الطائفية.

لو اعتمد الانقلاب لإسقاط صدام حسين لربح الشيعة والسنة، ولحشر قادة الانقلاب خمسة آلاف حزبي متورطين في جرائم إنسانية في معسكرات معزولة، وتركوهم يموتون عرياناً من دون أن يتهمهم أحد بالطائفية، وكان يمكن لهذا الدور أن يقوم به كثيرون ممن لم أتفق معهم كوفيق السامرائي وإبراهيم الداود وعبد الغني الراوي ونزار الخزرجي وعبد الأمير عبيس.

من كتاب «العراق الأميركي»

